

مجلــــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــــة محكّمـــــة

فصليـــّـــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: السابع والسبعون

السنـــة: التاسعة والأَربعون

الموصـــــــــل

١٤٤٠هــ / ٢٠١٩م

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

الرمز الدولي : ISSN 0378- 2887



آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: السابع والسبعون (نيسان/ أيّار/ حزيران لسنة ٢٠١٩) السنة: التاسعة والأربعون

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد .
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة .

((هيئة التحرير))

المحتويـــــــــات

التوقيعات في العصر العباسي بلاغة الإِخبار والإِيجاز

أ.م.د.أحمد يحيى علي*

تأريخ التقديم: ٢٠١٣/٤/١　　　　تأريخ القبول: ٢٠١٣/٥/٨

مقدمة :

تزامن ظهور فن التوقيعات في الأدب العربي منذ الوهلة الأولى لابتكاره بوظيفة إدارية تتعلق بإدارة شؤون الحكم بين الخليفة وعماله ، أو بين من هو أعلى مرتبة كالوزير أو قاضي القضاة ، ومن هو أدنى منه ، ولذلك أخذ طابع الإخبار بأمور هي أقرب إلى واقع الحياة المعاش من شؤون الناس وهذه الوظيفة إبلاغية تواصلية تتعلق بالوظيفة المتوخاة من أية لغة ، لكن غلب على طابعها توظيف أساليب بلاغية مؤثرة في المتلقي ، ولاسيما في أسلوب الإيجاز والكناية والتعريض ، وغيرها من أساليب تأتي بدرجة أقل من حيث التوظيف ، إذ كانت تبنى من ألفاظ قليلة لتؤدي معاني كثيرة وهذا الملمح هو عين دلالة الإيجاز في البلاغة العربية ، فقد عرفه البلاغيون بقولهم تقليل الألفاظ مع إكثار المعاني .

ونستطيع القول بعد ذلك إن فن التوقيعات جمع بين وظيفتي الإخبار والفن على كونه أساساً أنشيء للتبليغ بأمر ما ، تبليغاً إخبارياً .

التوقيع في اللغة :

وقع يقع وقعاً ووقوعاً : سقط ، والوقوع : التأثير ، يقال : وقع الدبر ظهر البعير إذا أثر فيه ، وقيل التوقيع مشتق من الوقوع لأنه سبب في وقوع الأمر الذي تضمنه ، أو لأنه ايقاع الشيء المكتوب في الخطاب أو الطلب فتوقيع كذا بمعنى ايقاعه [١] .

---

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/جامعة الموصل .

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة(وقع) .

وفي الاصطلاح :

اقتباس أو شعار قصير في صدر كتاب أو فصل منه ، له صلة بموضوعه[١]، ووقع في الكتاب : بين بإيجاز رأيه في الكتابة ، والتوقيع ما يعلق به الرئيس على كتاب أو طلب برأيه فيه[٢] .

والتوقيعات عبارات سليمة التركيب ، دقيقة الفكرة ، موجزة ومركزة ، تحمل رأي كاتبها في مسألة من المسائل أو شكوى ، أو تعليقة على موقف معين [٣] .

"والتوقيعات عبارات موجزة بليغة يكتبها الخليفة أو الوالي في أسفل الشكاوي والمظالم أو المطالب والحاجات التي كانت ترفع إليهم بما يتضمن الرأي فيها ، كأن يكتب إلى وزير في غرض ما ، فيكتب الرئيس عنه بما يفيد وجوب الفحص أو قضاء المأرب " [٤] .

تمهيد :

أسهمت التوقيعات الأدبية منذ أبكر عصورها في توجيه السياسة العامة للدولة العربية في العصر العباسي ، وكان الخلفاء في أكثر الأحيان هم الذين يتولون توجيه ما يرد إليهم من رقاع أو خطابات أو معاملات ، وكان التوجيه في حد ذاته توقيعاً أدبياً موجزاً يتضمن الرأي ، أو ما يجب إجراؤه ، ويكلون التوجيه والتوقيع الى بعض الكتاب البلغاء تحت إشرافهم في أحيان أخرى ، وكان في ذلك كله ثروة لا تقدر بثمن في بناء الدولة وإثراء الأدب والفكر ، فالتوقيع يحمل رأياً صائباً أو فكرة جديدة أو حكمة بالغة ، أو توجيهاً سديداً ، ويحرص كاتب التوقيع أن يكون توقيعه بليغاً مؤثراً موجزاً ، يعرضه في كلمات قليلة ، وهكذا ظفر الأدب العربي بطائفة من التعبيرات الأدبية الراقية ، تضم إلى ما أثر عن العرب من حكم وأمثال وأقوال بليغة .

وتمثل التوقيعات لوناً من ألوان الكتابة ينزع إلى الإيجاز الشديد والبديهة ،

(١) ينظر: معجم المصطلحات العربية ، مجدي وهبة ، وكامل المهندس : ٥٦.

(٢) ينظر: المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، مادة(وقع) .

(٣) التوقيعات التدريسية ، ناجي معروف ،مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٣: ٥ .

(٤) الكتابة الفنية في مشرق الدولة الإسلامية في القرن الثالث الهجري ، د. حسني ناعسة ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٩٧٨: ٢٤٣.

والإيجاز في الأدب العربي بلاغة، ولما كانت البلاغة مشتقة من مادة بلغ، التي تعني الوصول إلى الغاية ، كان هدفها إيصال المعنى واضحاً كاملاً إلى ذهن السامع[١].

والتوقيعات تستحق الوصف بالبلاغة ، لأن الكاتب يعبر عن معناه بعبارة واضحة خالية من اللبس ، ويوجز التعبير عن المعنى ، وقد عد العرب الإيجاز والاختصار شرطاً أساساً من شروط الفصاحة ، لأن أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره [٢] .

وتعد التوقيعات إحدى عتبات النص ، حرص فيها العلماء على الدقة والايجاز [٣].

ورأى ابن خلدون أن من خطط الكتابة التوقيع" وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل فيها متلقاة من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه [٤]، والايجاز هو درجة من ترتيب المباني على المعاني دون درجة المساواة ، فالمساواة مطابقة والايجاز تفاوت[٥].

وقد عرض المرزوقي للايجاز بنوعيه ، الحذف والقصر ، أي الايجاز بحذف أو إسقاط كلمة أو كلمات لدلالة غيرها على معناها ، وهو ما سمي إيجاز الحذف ، أو بناء الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف ، وهو ما يسمى إيجاز القصر [٦] ، وهو من المظاهر الأسلوبية التي تدخل في صميم البناء اللغوي للنص ، ذلك أنه يمثل خروجاً على النظام اللغوي في وجوب ذكر أطراف الكلام جميعاً ، إلا أن المبدع لا يلتزم هذا الشرط تحقيقاً لغاية بلاغية يسعى إلى تحقيقها الذكر [٧] .

---

(١) اللغة في الدرس البلاغي ، عدنان عبدالكريم جمعة ، دار السياب ، لندن ، ط١ ، ٢٠٠٨م : ١٤ .

(٢) البيان والتبيين ، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٨٥م : ١/٨٣.

(٣) بنظر:مدخل إلى عتبات النص (دراسة في مقدمات النقد العربي القديم) ، عبد الرزاق بلال ، إفريقيا الشرق:٢٣.

(٤) مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر ، ط٢، ١٩٩٢م، ٦١٩ .

(٥) ينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، محمد عزام، دار الشرق العربي، سوريا ، ط١،(د.ت): ٦٣.

(٦) ينظر: النكت في إعجاز القران ، الرماني، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف، ط٣،١٩٧٦:٧٠.

(٧) ينظر: مدخل إلى عتبات النص : ٢٤.

ورأى ابن الأثير أن من شروط المحذوف في حكم البلاغة أنه متى أظهر صار الكلام إلى شيء غث لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاوة والحسن[١]، أي أن الحذف أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب في الحذف كل مذهب ، ولو ذكر الجواب لكان مقصوراً على الوجه الذي تناوله الذكر [٢] .

وقد أشار علماء المعاني إلى ان من شروط بلاغة الحذف أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف [٣] .

أما النوع الثاني فهو بناء الكلام على الإيجاز وتكثيف المعاني في القليل من الألفاظ ، وهو ما يسمى بالإيجاز اختصاراً [٤].

وهذا النوع يفتح نفس السامع والمتلقي على مذاهب التأويل الممكنة[٥]، لأنه يقوم على بنية التقابل وعلى التناسب العكسي بين قلة اللفظ وكثرة المعنى ، وهذه نكتة لطيفة تصبح فيها مشيرات الإيجاز غير ماثلة في ما أنجز من الكلام ، ولا حتى أحياناً في مطابقته لمقتضى الحال ، وإنما تتولد من قدرة البنية على توليد المعنى وعلى قدرة السامع أو القارئ على الوصول من تلك المعاني إلى مرتبة لا يمكن أن يكون بعدها مرتبة [٦] .

ولا تختلف التوقيعات في العصر العباسي كثيراً في أسلوبها عن التوقيعات في العصر الأموي ، فهي تعتمد على الإيجاز والتركيز والوضوح في الفكرة ، ولطف الإشارة وجمال التصوير .

وقد برع من أصحاب التوقيعات في العصر العباسي : السفاح وأبو جعفر المنصور وابنه المهدي محمد أبو عبد الله وهارون الرشيد وأبنه المأمون عبد الله أبو

---

(١) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٩٩٨: ٢٦٨/٢.

(٢) التبيان في إعراب القران ، العكبري ، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة الحلبي، مصر ، ١٩٧٦م : ٤٧ ،

(٣) الموازنة : ١٨١/١.

(٤) ينظر: النكت في إعجاز القران: ٧٠.

(٥) ينظر: بلاغة الوفرة وبلاغة الندرة ، مبحث في الإيجاز والإطناب : ١١٨،

(٦) ينظر: المصدر نفسه : ٣٨.

العباس ، وكثير من وزراء الدولة العباسية [١] .

مقاييس التوقيعات الأدبية :

التوقيعات فن أدبي قائم بذاته ، وله خصوصيته ومقاييسه الأدبية ومنها :

١. البلاغة : أي أن يكون التوقيع مناسباً للقضية التي قيل فيها ، أو مناسباً للحالة المعروضة على الخليفة أو الوزير ، أو من ينوب عنهم .

٢. الإيجاز : الذي يتميز بالتركيز والتكثيف وإحكام البناء ، وهو أن تكون ألفاظ التوقيع معدودة وقليلة وذات معان عميقة ومؤثرة .

٣. الإقناع : أن يكون التوقيع مقنعاً ، وأن يحمل صاحب الشكوى على عدم المراجعة ، فيكون فيه من سلامة الحجة ووضوحها ما يسد الذرائع والحجج .

أنواع التوقيعات الأدبية :

من خلال استقراء التوقيعات الأدبية وتتبعها في كتب الأدب والتراث ، وجدنا أنها لا تخرج عن الأنواع الآتية:

١. يكون التوقيع آية قرآنية تناسب الموضوع الذي اشتملت عليه القضية ، أو تضمنه الطلب .

كتب السفاح الخليفة العباسي الأول ، إلى جماعة من أهل الأنبار يذكرون أن منازلهم أخذت منهم وأدخلت في البناء الذي أمر به ، ولم يعطوا أثمانها (هذا بناء أسس على غير تقوى) ، ثم أمر بدفع قيم منازلهم إليهم [٢].

وهذا التوقيع اقتباس من قوله ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٣].

والبناء هنا فيه معنى الاستعارة، ففي الآية الكريمة استعار القرآن الكريم البناء

(١) ينظر العقد الفريد ،ابن عبد ربه الأندلسي ، وينظر: جمهرة رسائل العرب ، أحمد زكي صفوت .

(٢) العقد الفريد :٢٠٩/٤.

(٣) سورة التوبة ، الآية ١٠٩.

للدين والإيمان، أما في هذا التوقيع، فالبناء هو استعارة تمثيلية، فهو لفظ مركب مستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه، أي تشبيه إحدى صورتين متنوعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبه في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه(١)، وهو تمثيل للبناء على ضد التقوى وبما سيؤول اليه .

والايجاز هنا واضح ، فقد أوجز الخليفة في قوله فقال إن هذا العمل باطل وإنه إجحاف لحقوقكم وظلم ، وأن عماله قد أخطأوا وأساءوا التصرف باقتباس الآية الكريمة وتوقيعه بها على مظلمتهم بإيجاز وبلاغة واضحتين .

ووقع إلى عامل تظلم منه بقوله : (وما كنت متخذ المضلين عضداً) (٢).

وفي هذا التوقيع أيضاً اقتباس من القرآن الكريم ، فقد اقتبس الآية الكريمة بنصها من قوله تعالى ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾(٣).

وفي التوقيع معنى الإشارة والتعريض ، والإشارة أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معان كثيرة بإيماء أو لمحة تدل عليها (٤).

فالخليفة اقتبس الآية الكريمة بقصد الإيجاز والاختصار مع الوفاء التام بالمعنى المطلوب ، وفيه دلالة على إن المؤمن يؤمل منه الخير ويؤثر عنه الهدى ويرجى فيه الصلاح ، وأن الكافر لا يؤمل خيره ولا يحتمل نفعه ولا يؤتمن شره ، وفيه كناية عن ضرورة عزله من منصبه ، كما أن في التوقيع معنى التعريض بسوء منقلب هذا العامل ومصيره الذي سيؤول إليه .

---

(١) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، ط١، ١٩٨٥م : ٦٦.

(٢) العقد الفريد : ٤/٢١١.

(٣) سورة الكهف ، الآية٥١.

(٤) نقد الشعر:١٥٤.

كما وقع السفاح في قوم شكوا غرق ضياعهم في ناحية الكوفة ، بقوله : (وقيل بعداً للقوم الظالمين) [١].

فالخليفة يعرض بهؤلاء القوم لأنهم استحقوا عقوبة الله عز وجل، والتوقع اقتباس نصي كامل من القرآن الكريم من قوله تعالى ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٢] .

فقد استعار الخليفة حال قوم نوح عندما اغرقوا ، لحال أولئك الذين غرقت ضياعهم ، فكأن حالتهم هي شبيهة بحالة قوم نوح المغرقين .

وهذه الآية مثلت خاتمة لقصة قوم ضربوا مثلاً في المعصية والإصرار على الكفر ، فناسبت دلالة هذه الآية الحال التي كانوا عليها ، وهي حال لا يمكن أن نتخيل فيها شكل العصيان الذي كانوا عليه وجسامته بحيث أن القائل لهم (بعداً) ، ليس الله سبحانه وتعالى فقط ، وإنما يمكن أن يكون الملائكة والسماء والأرض ، بدليل بناء الفعل لما لم يسم فاعله ، فصاحب التوقيع تصور ذلك كله وعمد إلى جزء الآية واقتبسه في مناسبة رأى أنها مشابهة لتلك المناسبة .

كما أن في التوقيع دلالة واضحة على انه كان ينصحهم بطاعة الله والابتعاد عن المعصية ، وأنهم لم يستجيبوا ويمتثلوا ، فكأن ما حصل لهم في رأيه نتيجة طبيعية وواقعية للعصيان .

ورفعت الى الخليفة المهدي محمد أبو عبدالله ، قصة رجل حبس في دم ، فوقع فيها بقوله : (ولكم في القصاص حياة) [٣].

والتوقيع اقتباس نصي كامل من القرآن الكريم ، من قوله تعالى ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [٤]

والقصاص هو إقامة الحد على الجاني ، والخليفة يبين في توقيعه أن من قتل

---

(١) العقد الفريد : ٤/ ٢١٤.

(٢) سورة هود ، الآية ٤٤.

(٣) العقد الفريد :

(٤) سورة البقرة، الآية ١٧٩.

فجزاؤه القتل ، ومن أباح دم الناس واستحل حرماتهم أباح الله دمه واستحق القصاص ، لأن في القصاص حياة للمجتمعات التي تنعم بالأمن والاستقرار ، وهذه إشارة صريحة وواضحة من الخليفة أيضاً بأن من الواجب قتل هذا الرجل ، لمنع تسرب الجريمة وإفشائها ، فالقصاص هو حياة الآمنين في المجتمعات .

والتوقيع الذي وقعه الخليفة العباسي المهدي يبدو مطابقاً تماماً لفحوى القصة ومضمونها .

٢. ويكون التوقيع عتاباً، يعتب فيه الموقع، من مثل ما وقعه أبو جعفر المنصور في كتابه إلى عمه عبد الله بن علي، بقوله:(لا تجعل للأيام في وفيك نصيباً من حوادثها) (١).

فقد اعتمد الموقع وهو الخليفة أسلوب الايجاز ، لأن هذا النوع من النثر يستلزم إيجازاً . ومعلوم أن من دلالة الإيجاز تكثير المعاني مع تكثيف البنية ، ليكون أشد إيقاعاً في النفس من أسلوب التقرير المباشر ، وفي هذا التوقيع استند الموقع على أسلوبية الكناية فضلاً عن الايجاز ، وهو كناية عن إيقاع العقوبة .

وقد أسند فعل الجعل إلى المخاطب لكونه سبباً في إيقاع العقوبة عليه ، ويحمل حينئذ على المجاز العقلي في علاقته السببية ، وكأن الموقع أو المنشئ أراد أن ببريء نفسه مما سيحدثه في المخاطب المعاقب ، كما وأن إضافة الحوادث إلى الأيام مجاز عقلي أيضاً في علاقته الزمانية لكون الأيام ظروفاً تحمل الحوادث التي تقع فيها .

ووقع إبراهيم بن العباس الصولي على كتاب وصل إليه من بعض كتابه يمدح رجلاً ويذم آخر ، فقال : (إذا كان للمحسن من الجزاء ما يقنعه ، وللمسيء من النكال ما يقمعه ، بذل المحسن الواجب عن رغبة ، وانقاد المسيء للحق رهبة) (٢) .

---

(١)العقد الفريد: ٤/ ٢١١.

(٢) ينظر: أمراء البيان ، محمد كرد علي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٥م : ٢٧٠.

وقد التزم صاحب هذا التوقيع بالسجع فقال :

من الجزاء ما يقنعه / من النكال ما يقمعه .

رغبة / رهبة

والسجع هو الإيقاع الصوتي والحرفي الناتج عن تقسيم الكلمات إلى وحدات مختومة بحروف موحدة أو متشابهة النظم(١)، والسجع لا يكون إلا في جملتين أو أكثر(٢).

وأحسن السجع وأقربه من السمع هو السجع القصير الذي تتألف فيه كل فاصلة من اقل الألفاظ (٣)

واستخدم المحسنات البديعية من مثل التقابل ، فقابل بين جملة :

للمحسن من الجزاء ما يقنعه/ للمسيء من النكال ما يقمعه .

وجملة انقاد المسيء للحق رهبة / بذل المحسن الواجب عن رغبة .

واستخدم الاستعارة المكنية فشخص الجزاء فإذا هو شيء يقنع ، فقال :

من الجزاء ما يقنعه ، وشخص النكال ، فإذا هو شيء يقهر ويقمع .

والاستعارة المكنية هي استعارة تشبيه حذف أحد طرفيه (٤) ، فقد عقد الموقع علاقة تشبيهية بين الجزاء من جهة والقناعة من جهة أخرى ، وحذف المشبه به وهو الإنسان ، وكذلك فعل مع النكال.

وكتب يحيى بن خالد البرمكي في الاستبطاء والاقتضاء ولعله يخاطب الخليفة أبا جعفر المنصور ، يقول : (في شكر ما تقدم من إحسانك ، شاغل عن استبطاء ما تأخر منه) (٥).

في هذا التوقيع طباق بين اللفظتين : ما تقدم / ما تأخر

وتجانس صوتي بين لفظة شكر / ولفظة شاغل

وجملة (في شكر) تقديم الجار والمجرور على المبتدأ شاغل

---

(١) المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي ، محمد عزام ، بيروت :٢٠٠.

(٢) دراسات في البلاغة العربية ، د. عبد العاطي غريب علام ، بنغازي، ط١ ، ١٩٩٧م :٢١٦.

(٣) ينظر: علم البديع ، د. محمود أحمد حسن المراغي : ١٣٢.

(٤) ينظر: في البلاغة العربية " علم البيان" ، د.محمد مصطفى هدارة ، بيروت ، ط١، ١٩٨٩م : ٧١.

(٥) ينظر : تحفة الوزراء : ١٤٥.

وكان في تكرار حرف الجر (من ، منه) نوع من الإيقاع ، إيقاع تكرار حروف الجر .

وطالت غيبة جندي عن أهله ، فكتب أبوه الى الوزير جعفر بن يحيى يسأله إعادته ، فوقع بقوله : (غيبة يوسف كانت أطول) (١).

وفي النص إشارة واضحة إلى قصة يوسف عليه السلام ، وهو خبر خرج على معنى التوبيخ لوالد الابن ، لأنه سأله عن شيء كان من المفترض أن لا يسأل عنه .

وفي النص أيضاً بشارة للوالد بأن ابنه سيعود وإن طالت غيبته ، كما في شأن يوسف عليه السلام.

ورفع بعضهم إلى الصاحب بن عباد رقعة يذكر أن بعض أعدائه يدخل داره فيسترق السمع ، فوقع الصاحب فيها بقوله: (دارنا هذه خان ، يدخلها من وفى ومن خان)(٢).

وقد وظف الموقع فنوناً بلاغية عديدة في هذا النص ، وهي :

شبه داره بالخان ، لكثرة الداخلين إليها ، وهي استعارة وفيها مدح للنفس .

وهناك طباق بين وفى / وخان .

وجناس بين دارنا هذه خان / ومن خان .

وقد قصد الموقع المقابلة بين الجملتين بإقامة التجانس ، واطراد الترابط وتواصل العلاقات بين جنبات السياق ، بغض النظر عن طبيعة هذه العلاقات ضدية أم مطردة (٣) .

كما ونلحظ في النص تعريضاً أيضاً ، لأنه لم يرد ذكر اسم الشخص الذي كان يسترق السمع، وقال دارنا وفيها تعظيم للنفس ، فلم يقل داري .

ودارنا هذه للإشارة إلى القريب ، فهو يعرض بالخائن وبالنمام أيضاً .

٣. ويكون التوقيع أيضاً توضيحاً لمسألة من المسائل ، من إنشاء الكاتب بأسلوب موجز دقيق ، من ذلك ما كتبه أحدهم إلى الوزير جعفر البرمكي يعتذر عن ذنب بدر منه .

---

(١) العقد الفريد : ٢١٩/٤.

(٢) إحكام صنعة الكلام ، الكلاعي : ١٦٠.

(٣) البديع تأصيل وتجديد ، د.منير سلطان ، مصر ، ١٩٨٦م : ١١٦.

فوقع جعفر على رقعته (قد تقدمت طاعتك ، وسبقت نصيحتك ، فإن بدرت منك هفوة ، فلن تغلب سيئة حسنتين) [١].

وجملة (قد تقدمت) خبر خرج إلى المدح ، و(تقدمت طاعتك وسبقت نصيحتك) فاعلان مجازيان، والأصل هو صاحب الطاعة ، وهو مجاز عقلي لأنه أسند الفعل إلى الفاعل المجازي[٢] اقتباسٌ من الحديث النبوي الشريف، (لن يغلب عسر يسرين) وقولُهُ: لنْ تغلِبَ سيئةٌ حسنتينِ، وهناك طباق بين : طاعتك ونصيحتك ، وكذلك بين : سيئة وحسنة، وهناك نوع من التوازن الصوتي بين الألفاظ : تقدمت ، سبقت ، بدرت .

وهذا التوازن أدى إلى إيجاد نوع من الإيقاع الصوتي الذي ينسجم مع سمة التوقيعات بصورة عامة وهي إيجاز القصر ، مما يسهم في وصول معناها إلى القلب قبل بلوغ بنيتها أذن المتلقي .

وفيه نوع من العتاب الملفوف باللوم الموجه إلى المتلقي لما بدر منه ، وكأنه يقول له: مثلك لا يقع منه هذا الفعل .

ورفع صاحب خراسان إلى الخليفة أبو جعفر المنصور رسالة تبين للخليفة منها أن عامله قد أساء في التصرف ، فوقع عليها بقوله : (شكوت فأشكيناك ، وعتبت فأعتبناك، ثم خرجت على العامة ، فتأهب لفراق السلامة) [٣] .

فالخليفة أبو جعفر المنصور حين جاءه والي خراسان يشتكي الرعية ، سمع لشكواه وانتصر له بمعاقبة المخالفين ، فقال : شكوت فأشكيناك، وأشكيناك أي أنصفناك ، وقضينا على أسباب شكايتك، وهنا جناس اشتقاقي بين جملة شكوت فأشكيناك و عتبت فأعتبناك، وحين أظهر عتبه على الخليفة بأنه يريد المزيد من القوة والحزم، فقال له الخليفة : وأعتبناك أي قبلنا عتبك .

ثم رأى الخليفة إن عامله على خراسان أساء التصرف وتطاول على عامة الناس ، فلم يسلم منه أحد ، بين له سوء حاله ، وعدم قدرته على مواصلة الحكم بمنتهى

---

(١) العقد الفريد: ٤/ ٣١١.

(٢) صحيح البخاري ، الطبعة الاميرية ، باب من انتظر حتى تدفن .

(٣) إحكام صنعة الكلام ، الكلاعي : ١٦٥.

الإيجاز، وجاء بكلمتين مسجوعتين العامة والسلامة فقال لعامله : ثم خرجت على العامة ، فتأهب لفراق السلامة، فوجب عزل هذا العامل وخلعه عن الحكم .

الخلاصة وأهم النتائج:

بعد هذه الرحلة مع فن التوقيعات في العصر العباسي ، واستعراضنا لعدد منها ، ودراسة بلاغتها وإيجازها ، نبين أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، وهي :

١. التوقيعات فن نثري أدبي له خصوصيته ومقاييسه الأدبية .

٢. لا يشترط في التوقيع البليغ أن يكون كلاماً مبتكراً ، بل يكون التوقيع آية قرآنية ، أو حديثاً نبوياً أو بيت شعر أو حكمة أو مثلاً .

٣. يشترط في التوقيع الايجاز الذي يتميز بالتركيز والبديهة وقوة العبارة وجمال التصوير ولطف الإشارة ، فضلاً عن البلاغة والإقناع .

٤. لا يمكن أن نجد الايجاز الذي نجده في التوقيعات في أية لغة من لغات العالم بهذا الجمال والروعة واتساع المعاني ، مثلما هو مدون في اللغة العربية .

٥. ارتبطت التوقيعات بالحكمة والقول المقنع الفصل في الكثير من المواقف ، وقد جاءت محملة بالأمل والتفاؤل حيناً ، وبالوعيد والتهديد حيناً آخر ، وبالتحذير حيناً ثالثاً .

٦. التوقيعات لا تصدر من الأعلى إلى من هو دونهم ، كما في الغالب ، بل قد تصدر عن مرتبة دنيا إلى من هو أعلى .

٧. اتسمت التوقيعات في الأداء الأدبي الذي من خصائصه الوجازة في التعبير واختيار الكلمات المناسبة وملاءمتها للحالة أو الموقف ، والإقناع بالرأي ، وهي من خصائص الأسلوب البليغ .

Signatures in the Abbasid Period
The Rhetoric of Reporting and Brevity

Assist Prof. Dr Ahmed yahya Ali

ABSTRACT

Signatures are a type of Writing depends on brevity and in Arabic Literature is called rhetoric’s. The author expresser his thoughts Without any ambiguity . Brierty was considered by Arabs as one of the significant condition of eloquence .